

أضواء البيان

@ 481 هذه الفعلة تدافعها الناس وعاطاها بعضهم بعضاً ، فتعاطاها قدار وتناول العقر بيده . انتهى محل الغرض منه . .

والعرب تقول : تعاطى كذا إذا فعله أو تناوله ، وعاطاه إذا تناوله ، ومنه قول حسان رضي الله عنه : والعرب تقول : تعاطى كذا إذا فعله أو تناوله ، وعاطاه إذا تناوله ، ومنه قول حسان رضي الله عنه : % (كلتاها حلب العصير فعاطني % بزجاجة أرخاهما للمفصل) % . وقوله : { فَعَقَرَهُ } أي تعاطى عقر الناقة فعقرها ، فمفعولا الفعلين محذوفان تقديرهما كما ذكرنا ، وعبر عن عاقر الناقة هنا بأنه صاحبهم ، وعبر عنه في الشمس بأنه أشقاهم وذلك في قوله { إِذْ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا } . .

وهذه الآية الكريمة تشير إلى إزالة إشكال معروف في الآية ، وإيضاح ذلك أن الله تعالى فيها نسب العقر لواحد لا لجماعة ، لأنه نال : فتعاطى فعقر ، بالإنفراد مع أنه أسند عقر الناقة في آيات أخر إلى ثمود كلهم كقوله في سورة الأعراف : { فَعَقَرُوا النِّسَاءَ وَعَظَمُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ } ، وقوله تعالى في هود { فَعَقَرُوا هَاقَالًا تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ } وقوله في الشعراء : { فَعَقَرُوا هَاقَالًا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ } ، وقوله في الشمس : { فَكَذَّبُوا هَاقَالًا } . . ووجه إشارة الآية إلى إزالة هذا الإشكال هو أن قوله تعالى { فَذَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ } يدل على أن ثمود اتفقوا كلهم على عقر الناقة ، فنادوا واحداً منهم لينفذ ما اتفقوا عليه ، أصالة عن نفسه ونيابة عن غيره . ومعلوم أن المتماثلين على العقر كلهم عاقرون ، وصحت نسبة العقر إلى المنفذ المباشر للعقر ، وصحت نسبته أيضاً إلى الجميع ، لأنهم متماثلون كما دل عليه ترتيب تعاطي العقر بالفاء في قوله : فتعاطا فعقر على ندائهم صاحبهم لينوب عنهم في مباشرة العقر في قوله تعالى : { فَذَادُوا صَاحِبَهُمْ } أي نادوه ليعقرها . .

وجمع بعض العلماء بين هذه الآيات بوجه آخر ، وهو أن إطلاق المجموع مراداً به بعضه أسلوب عربي مشهور ، وهو كثير في القرآن وفي كلام العرب . . وقد قدمنا في سورة الحجرات أن منه قراءة حمزة في قوله تعالى : { فَإِنْ قَاتَلُواكُمْ }